السينما والفلسفة بين تركيب الواقع ومقاربة فوضى الحقيقة

بن عزوزي عبد الله جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر.

ملخص المقال باللغة الإنجليزية:

Philosophy is defined as a vast field that aims to define concepts or perhaps is the so-called concept of the world while cinema is a mediator artistic excellence seeks to address reality in a better way and thus find the cinema itself achieves philosophical goals so it resists many questions about the relationship of cinema philosophy and the role of this relationship in the restoration The embodiment of reality and the approach of chaos facts.

This subject leads us to reconsider the function of philosophy and cinema in defining concepts and interpreting the ambiguities and contradictions experienced by man through the language of the picture and the combination of visual signs defined by cinema.

In this article, we will try to draw iron from the limits of the relationship between cinema and philosophy and their role in shaping reality and addressing the truth, in the interests of many philosophers such as Gil Dulloz and Stanley Cavell.

بعد أن خرجت السينما من قوقعة الاختراع التكنولوجي، منذ بدايتها مع تجربة الأخوين لوميار و آلة السينماتوغراف، أصبحت بعد العديد من التجارب، وسيطا فنيا متميزا، يمكنها التعبير عن مختلف الحقائق، والكشف عما يعتري الواقع من جدل وغموض وتناقضات، تشهدها حياة الشعوب والمجتمعات، حيث تجاوزت كونها عملا فنيا فحسب، و أصبحت مجالا للتفكير من خلال نسق فلسفي، تتضافر فيه مختلف العناصرالجمالية والتعبيرية والمضامين المختلفة، التي تتبناها الأفلام السينمائية، لذلك تعتبر السينما بالإضافة إلى كونها فنا متميزا؛ مجالا فلسفيا، تشتغل على التفكير في القضايا الحديثة والمعاصرة، والراهنة للإنسان .

فما هي حدود العلاقة بين السينما والفلسفة؟ وكيف يمكن لهذا الفن المتميز أن يعالج الواقع ويقارب مختلف الحقائق التي تقع في الحياة اليومية للإنسان؟

يعرف الفيلسوف جيل دلوز الفلسفة على أنها:

" آلة رائعة لصناعة المفاهيم، بينما يحدد العمل، الفني بأنه كتلة من الأحاسيس، بمعنى أنه مركب من مفاهيم وعواطف"[1].

وعليه فإذا كانت السينما تعتبر عملا فنيا متميزا فان الفلسفة تعتبر ميدانا لتحديد المفاهيم، وبين السينما كفن، والفلسفة كعلم شاسع؛ يجد السينمائي نفسه أمام أمرين: الأول هو التفكير من خلال السينما، مما يجعل هذا الفن مجلا للتفكير والتأمل والتدبر والبحث في حياة الإنسان، والثاني هو التفكير بالسينما، مما يجعلها أداة للتفكير.، فالمخرج يفكر بطريقة الفيلسوف الذي تكمن فلسفته في تجسيد الصور، وقراءتها وتجسيدها وفق معايير واتجاهات فكرية وجمالية، لذلك يمكن اعتبار ما تتضمنه الأفلام السينمائية، و ما يفكر به المخرج في مختلف أفلامه وما يطبقه من أفكار واتجاهات فكرية معينة، ويتناوله في إطار الصورة السينمائية، ضرب من ضروب الفلسفة، أو ربما هو تمثل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للفلسفة في مجال الصناعة السينمائية، مما يجعل لكل مخرج سينمائي، إلا وله فلسفته الخاصة.

يعود ذلك إلى الصورة الفيلمية، التي تعتمد على منظومة من العلامات السمعية والبصرية، التي تشكل بتضافرها وتكاملها موضوعا يستحق التفكير، أو ربما يمكن أن تكون هي أداة التفكير، مادامت وسيلة للتعبير والتواصل؛ إنها وان كانت اللغة الرئيسة في الفيلم، إلا أنها تعتبر مجالا فلسفيا أمام المشاهد، بغية التعبير عن الحقائق وتصوير الواقع ومعالجته .

وهو ما يؤكد عليه جيل دلوز، عندما يحدد أهمية السينما كأداة تفكير؛ حيث يرى أنها " **تمنحنا القدرة على التفكير، إذ تقوم بإحداث نوع من الصدمة على مستوى الفكر، فتنقل إلى الجهاز العصبي ذبذبات خاصة(...) فكأنها تقول، معي أنا الصورة–الحركة (image–mouvement)، لن تستطيعوا أبدا الإفلات من هذه الصدمة (choc) التي توقظ المفكر النائم بداخلكم**"[2]

وهنا تكمن العلاقة بين السينما والفلسفة ، من خلال لغة الصورة التي تحمل في إطارها عديد المضامين والقضايا في المجتمعات ، وتعالج الحقائق والغموض والجدال والتناقضات المختلفة، التي تشهدها الحياة اليومية للإنسان، وتجعل من اللامرئي مرئيا، وذلك من خلال العودة إلى، " تقنياتها وأساليبها ومرجعياتها، وغنى متونها وأنواعها الفيلمية، عن مدى قدرتها الكبيرة على طرح وترويض الإشكاليات الصعبة....وتحرير وتطوير الخيال والإبداع الإنسانيين، عبر تجديد طرائق السرد، وآليات الحكي، واستراتيجيات المعالجة والتناول"[3].

وهكذا تسعى فلسفة السينما بين التفكير والتدبر والممارسة الفنية، إلى إحداث التغيير في الواقع من خلال التجسيد الفني له، وإعادة تركيبه، لكن من وجهة نظر نقدية، تهدف إلى تحسين هذا الواقع وتطويره .

يرى الفيلسوف الأمريكي ستانلي كافيل، في كتابه العالم معروض عام 1971" أن جزءا من سبب استمتاعنا الكبير بالسينما ، هو بكل بساطة أنه لدينا رغبة طبيعية بأن نرى العالم، وقد أعيد تجسيده بنفس صورته، والسينما بالنسبة لكافيل، هي إعادة تنظيم صور الواقع، بأفضل ما تستطيع"[4]

وبذلك تحقق السينما أهداف الفلسفة في حد ذاتها، تلك التي تسعى إلى تحديد المفاهيم، وتفسير التناقضات والجدال والغموض، الذي يعرفه الإنسان في حياته اليومية، وهكذا يمكن القول أن السينما تعتبر أداة فلسفية، في تفسير التناقضات، والتعبير عن الحقائق الخفية، من خلال الصورة، التي تعيد تركيب الواقع بشكل أرقي، مما هو عليه في الحقيقة، " فالسينما تسعى إلى تركيب الواقع، من خلال اللغة السينمائية المنتظمة، عبر نوع فيلمي، مما يجعلها تخلق واقعا آخر، يثير الأحاسيس وينعش الوجدان،...أما الفلسفة، فتسعى إلى وضع خطط عقلانية لمقاربة فوضي الحقيقة.."[5]

وهكذا تعتبر هذه التوأمة بين السينما والفلسفة مجالا لإعادة تركيب الواقع فنيا، من خلال لغة الصورة بوجهة نظر نقدية، تهدف إلى إعادة تحسين الواقع ذاته وتثير بذلك عواطف المشاهد، وتستثيره نحو الأفضل.

ويلحظ المتأمل في علاقة السينما بالواقع، أن هناك أسلوبين لمقاربتها: الأول يؤمن أن بوسع الصورة أن تعكس الواقع، وأن تطبق صورة طبق الأصل له؛ والثاني يضع الواقع موضع إشكال، وبالمثل هناك منهجان لمقاربة السينما في علاقتها بالحقيقة: أولهما يدعي أن ما تلتقطه عين الكاميرا،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو الحقيقة العارية من كل الشوائب، في حين أن الثاني يقوم باستشكال الحقيقة ومساءلتها.6

وما يهمنا في كل هذا الجدال، هو أن السينما تمنح الإنسان فرصة لرؤية العالم، بنظرة جديدة، ويكتشف الوجود، إنها تحاول من خلال جمالياتها، وتقنيتها الفنية إعادة خلق العالم بشكل جمالي، وتحاول كشف الغموض وفك الجدل والتناقض القائم في الحياة العادية، وإعادة تجسيد ذلك في إطار الصورة الفيلمية، ومنه فإن جوهر العلاقة بين السينما والفلسفة يكمن في إعادة تركيب الواقع وكشف المستور وإذابة الجليد عن الحقائق المخفية في قالب فني جمالي، عن طريق الصورة السينمائية وبذلك تحقيق أغراضا فلسفية، عن طريق الممارسة الفنية، من خلال السينما، كما أن السينما، اعتمدت على الفلسفة بغية تجسيد عالم وواقع جديد، بصورة أفضل من المألوف في الحياة العادية، ولكنه يتميز باتجاهاته وطروحاته الفكرية الشاسعة، التي يعتمدها السينمائي في أهدافه الرامية إلى إعادة تجديد العالم وتركيب الواقع سينمائيا بشكل جمالي بصورة أفضل من الواقع الاعتيادي بشكل يثير الوجدان وهنا تكمن علاقة السينما بالفلسفة ، إنها علاقة الصورة بالفكر والمفاهيم، وكشف الغموض والتناقضات، وفك الجدل ومعالجة العديد من القضايا في الحياة الإنسانية، فهي تكشف المستور وتعيد تجسيد اللامرئي مرئيا، وفق اتجاه فكري معين، بغية جعل الإنسان يكتشف الحياة، وما وراءها سينمائيا، وتجسد ما هو موجود وغير موجود، وتلبي غرائز الفرد وتطلعاته سينمائيا، من خلال الصورة؛ إذ يمكن للمخرج السينمائي، أن يجسد المساواة والعدالة والتسامح وغيرها من الفضائل، لكننا نجدها غائبة في الواقع وبالتالي فان هذا التفلسف السينمائي، غرضه محاولة إعطاء حلول آو الحث على التغيير؛ انه وبكل بساطة؛ محاولة لإعادة تركيب الواقع سينمائيا، وفق اتجاه فكري وجمالي.

وبكل بساطة فان السينما، باتت مجالا للتفلسف من أجل الكشف عن ما هو خفي في الحياة اليومية، والتعبير عن الحقيقة التي يسعى العالم لاكتشافها، وفك التناقضات والجدل، الذي يعرفه الإنسان وتشهده المجتمعات، في عديد القضايا الشائكة، ولما كانت السينما أداة تعبير عن طريق الصورة، التي سخرت لأغراض عدة؛ فان وظيفتها من خلال كل ما ذكرنا، لا تخل من أهداف فلسفية، إنها تسعى إلى تغيير وتحسين الواقع فنيا، من خلال جماليات الصورة الفيلمية، وبذلك تثير المتلقي نحو الواقع المثالي، وفي ذلك هدف وممارسة من منظور فلسفي، في الوقت ذاته .

فلسفة السينما:

تساهم السينما في كشف عن ما يعتري الواقع من تشتت وتمزق وتناقضات، وتحاول كشف الحقائق الخفية في الحياة اليومية، حيث "توظف آليات حجاجية تعتمد الحوار كواحد من المناهج الفلسفية الأثيرة التي تسعى إلى كشف مفارقات العالم ، فالناس يرغبون في السيطرة عليه والتمتع بكل خيراته .....أنها(السينما) المرآة التي تجلو شكوكنا وتفضح يقينياتنا... لقد صار من الصعب اليوم فصل الفكر السينمائي والنقدي والفلسفي عن التجربة الفيلمية"7 لذلك فان كل ما تقدمه السينما يمكن أن يندرج ضمن فلسفتها الخاصة في وضع الحلول للتناقض والجدل والغموض الذي يشهده العالم أو ربما لتوضيح وتفسير العديد من المفاهيم وإعطاء البديل والحلول للعديد من القضايا التي تعالجها السينما، وبهذا يمكن اعتبارها أداه فلسفية ذات أهداف فلسفية، أساسها إعادة تجسيد الواقع سينمائيا وتحسينه من خلال تبنيها لمختلف وسائل الإقناع في تجسيد الواقع .

إن السينما بهذا المفهوم يمكن اعتبارها من خلال عناصرها الفنية وجمالياتها أداة لتركيب الواقع ومعالجته سينمائيا من وجهة نظر فلسفية ترجع بالدرجة الأولى إلى فكر السينمائي، مخرج أو سيناريست، أو ما شبه، حيث تعالج العديد من القضايا، التي تشهدها المجتمعات سياسيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واقتصاديا واجتماعيا، وبذلك يجد السينمائي أثناء معالجته لهذه المواضيع، محل تفكير وفلسفة خاصة به، في محاكاة الواقع وإعادة تجسيده سينمائيا، ونقده وتحسينه ودفعه باتجاه الصورة المثالية، وفي ذلك ممارسة سينمائية، وفق رؤية فلسفية للسيناريست، أو المخرج .

ومنه فإذا كانت الفلسفة تقيم الحركة في الفكر، فإن السينما تقيم الحركة في الصورة؛ وهو ما يجعل السينما منتجة للواقع، وبالتالي فهي ليست وهما ولا حلما ولا تخيلا. إنها فن إبداعي وخلاق بوسائله التي تختلف عن باقي أشكال الخلق والإبداع الأخرى، بما فيها الفلسفة.التي تشتغل على توضيح المفاهيم وتفسير القضايا الأساسية المتعلقة بالوعي والإدراك والمعنى؛ وغيرها من القضايا والمواضيع الفلسفية ورغم كونهما (السينما والفلسفة)يشكلان عالمين مختلفين، فإنهما" يتقاسمان لغة مشتركة، تتمثل في تعويض الفكرة التي يصعب إدراكها بصورة قائمة الذات، أي ككتل من الحركات الدائمة والمتلائمة داخل تشكل الأمكنة والأزمنة. إن العلاقة بين السينما والفلسفة هي علاقة الصورة بالمفهوم. بهذا المعنى، فالسينمائي يصنع صورا و أصواتا حية عبر ممارسة معينة للعلامات والتقنيات. أما الفيلسوف فيبدع مفاهيم مجردة وغير مرئية عبر تأسيس رؤية خاصة".8

تستطيع السينما شحن الذهن وحثه على التفكير، فالفكر لا ينبثق في ذهن الإنسان من تلقاء نفسه، بل يحتاج إلى شيء يحمله، ويعبر عنه، لذلك فانه في صناعة الأفلام السينمائية نجد أنفسنا قادرين على ممارسة التفكير.

وإذا كانت السينما تعتبر فنا متميزا يعيد تجسيد العالم بصور واتجاهات فكرية وإيديولوجية مختلفة، من خلال الصورة الفيلمية وجمالياتها وتقنياتها المتعددة، فقد تجاوزت اليوم كونها أداة تفكير وتفلسف، ووصلت إلى درجة أنها أصبحت ميدانا فلسفيا من خلال تبني السينما لمواضيع فلسفية، آو الاعتماد على نظريات واتجاهات فلسفية معينه أو ربما شخصيات لفلاسفة عالميين، مما جعلها تتميز عن باقي الأفلام كونها تعتمد الفلسفة، مادة لها في موضوعاتها ورغم أنها ليست بقدر الموضوعات، أو الشخصيات الأخرى التي تتناولها السينما، إلا أنها تعتبر برهانا على كون السينما، باتت أداه فلسفية ومجالا للفلسفة، أي أنها أداة تفكير ومجال تفكير أيضا، وهذا هو بيت القصيد، في الجزء الثاني، المتعلق بحدود العلاقة بين الفلسفة والسينما.

سينما الفلسفة:

يرى الناقد محمد أشويكة، في كتابة التفكير بالسينما والفكير في السينما" أن السينما لم تهتم عبر تاريخها الفيلموغرافي الكبير بالفلاسفة، كأبطال في الأفلام، ولم يحظوا بالاهتمام الذي لاقته الشخصيات الأخرى ...كرجال السياسة والبوليس والفنانين والرياضيين، والملوك والأمراء، المجرمين والجواسيس ...ولعل ذلك يرجع للرهبة من الفلسفة التي تحولت إلى نوع من الحجاب فيما بينها وبين كتاب السيناريو وصناع السينما، آو ربما إلى عدم جاذبية الفلسفة للجماهير العريضة، أو الخوف من سيرهم، التي يطبعها الالتزام والموقف والجرأة"9

ومع ذلك فقد سجل تاريخ السينما، العديد من الانتاجات التي تبنت في مضامينها، مواضيع فلسفية، أو ربما حياة فلاسفة معينين، أو ربما روجت لاتجاه فكري وفلسفي معين.

وتشهد السينما العالمية على وجود العديد من الأعمال السينمائية ذات الصبغة الفلسفية الناجحة من خلال مواضيعها المتعددة التي تراوحت بين الترويج لاتجاه فكري وفلسفي معين أو تناول سير ذاتية لفلاسفة العالم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك العديد من هذه التجارب السينمائية العالمية التي سارت على هذا النحو منها:

فيلم للفنان التشكيلي الفرنسي **روبير لابوجاد Robert Lapoujade** يتناول فيه شخصية الفيلسوف **سقراط** بعنوان يحمل الاسم نفسه– **سقراط– عام 1968 le Socrate** وظهر هذا الفيلسوف في الفيلم وهو يلقن الإمبراطور الكسندر المقدوني مبادئ في الفكر الفلسفي وأصوله. **10**

كما تناولت السينما سيرا ذاتية للعديد من الفلاسفة في السينما العالمية المعاصرة ففي عام 2012، تم إنتاج فيلم عن الفيلسوفة الألمانية الشهيرة، حنا أرندت، وعلاقتها مع الفيلسوف مارتن هايدغر.

يتناول فيلم" **حنا آرندت hannah arnadt للمخرجة الالمانية مارغيريت فون ترونا، margarethe von trotta .. سيرة ذاتية للفيلسوفة الألمانية حنا أرندت الشهيرة بكتابيها " أصل التوتاليتارية" و" ايخمان في القدس" الذي أحدث جدلا كبيرا حول بؤس الشر وتفاهته، كما يتناول الفيلم حياة هذه الفيلسوفة بشكل مفصل، من خلال إبراز صداقتها مع الفيلسوف مارتن هايدغر، وطريقة تفكيرها الصارمة والحازمة، خاصة وأنها قوبلت بسوء الفهم والتأويل من لدن عائلتها، وهذا الأمر الذي تسبب في عزلتها، وكان قدر الفيلسوف هو الانعزال ضدا ،على الحيوية الفكرية التي يمارسها.."**[11]

وختاما يمكن القول :

أن السينما تعتبر مجالا للتأمل والتفلسف عبر الشاشة من خلال الصورة الفيلمية التي تعالج عديد الحقائق وفق فلسفة السينمائي– المخرج أو السيناريست– مما يجعلها أداة للتفكير والتفلسف.

ساهمت علاقة السينما بالفلسفة في تفسير العديد من القضايا وتوضيح العديد من الأفكار ومعالجة العديد من الحقائق من الواقع المعاش من وجهة نظر فلسفية مما جعل المشاهد يفكر بعمق، ويتمكن من تحليل مختلف القضايا التي تلتصق بالممارسة اليومية للإنسان .

تحاول السينما بفلسفتها إذابة الجليد عن الغموض الذي يعتري العالم وتجسيد اللامرئي مرئيا .

كما تسعى السينما بفلسفتها إلى إعادة تركيب الواقع بشكل أرقي مما هو عليه في الحقيقة، وفي ذلك اتجاه فلسفي ونقدي في آن واحد في معالجة الواقع، كما تهدف فلسفة السينما إلى تفسير مختلف الحقائق الخفية وكشف اللبس عن العديد من الأفكار، والمفاهيم والغموض والقضايا، والاتجاهات الفكرية التي يعرفها العالم.

وثقت السينما حياة العديد من الفلاسفة في العديد من الأفلام، التي تناولت سيرا ذاتية لفلاسفة كبار، مما جعلها تتبنى عديد المواضيع الفلسفية، من جوانب مختلفة في أفلامها.

تهدف فلسفة السينما إلى إعادة تركيب الواقع وتحسينه فنيا وجماليا في الصورة السينمائية، كما تسعى إلى كشف الحقيقة المثلي أمام المشاهد .

وهذا كانت علاقة السينما بالفلسفة توأمة بينهما، جعلت من السينما أداة تفكير ومجالا للتفكير في الوقت ذاته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش:

1-محمد أشويكة –التفكير في السينما ، التفكير بالسينما، دار المدارس للنشر والتوزيع الدار البيضاء المعرب الطبعة الأولى 2015 ص13.

-2- Deleuze (G), L'image-temps, Edition Minuit, p203

3- محمد أشويكة التفكير في السينما ، التفكير بالسينما م س ص13/12.

4- دانييل فرامبتون الفيلموسوفي نحو فلسفة للسينما ترجمة أحمد يوسف، منشورات المركز القومي للترجمة /القاهرة الطبعة الأولى، 2009 ص 17.

5- محمد أشويكة ، التفكير في السينما ، التفكير بالسينما م س ص13.

6-https://www.aljabriabed.net/n49_13aarib.htm

7- محمد أشويكة التفكير في السينما ، التفكير بالسينما م س ص18

8- دروب الفلسفة في السينما، جريدة (الشرق الأوسط، الموقع: https://aawsat.com/home/article/391416

9- محمد أشويكة، المرجع نفسه ص19.

10- ينظر محمد اشويكة المرجع نفسه ص 20

11- المرجع نفسه ص21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com